جورج نقولا الحاج



الغربة ومواسم الظلام

شعر

اقرأ

١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م

جامعة السلطان قابوس

الطبعة الثانية

١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م

المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع

الحمراء ـ شارع اميل اده ـ بناية سلام

هاتف: ٨٠٢٤٠٧ ـ ٨٠٢٤٢٨ ص. ب ١١٣/٦٣١١ بيروت ـ لبنان

جورج نقولا الحاج

الغربة

ومواسم الظلام

شعر

نبذة عن المؤلف

ولَـدَ المؤلف عام ١٩٥٢ . دَرَسَ الأدبَ العربـي في الجامعـة اللبنـانية في بيروت. ثـم في جامعـة بينغهامتـن في ولاية نيويورك . ومن الجامعة ذاتها في نيويورك نالَ شهادة الماجستير بدرجـة جيد ، ثم شهـادة الدكتـوراه (دولـة) بدرجة جيد جداً في الأدب المقارن .

مارسَ التعليم في عدد من الثانويات في بيروت ، ثم في جامعة بينغهامتن في نيويورك حيث دَرَّسَ الأدبَ العالمي ، ثم عُيِّنَ مدرِّساً للغة العربية وآدابها فرئيساً لقسـم الترجمـة العربية التابع لدائرة الأدب المقارن . عُيِّن استاذاً زائـراً في جامعـة ييلْ حيث دَرَّسَ الأدبَ العربـي الحـديث . عمـلَ مترجماً واستاذاً ثم مستشاراً لغوياً في مدرسة برْلتز للغات في نيويورك ، ثم مُرشـداً لدائـرة اللغـة العـربيَّة في جامعـة التدريبِ الدولي في فرمنتْ . ومستشاراً لغوياً في مؤسسة دورونْ ثم في مؤسسة لوغـوسْ للترجمـات الالكتـرونيَّة المبرمجة .

هو عضو في جمعية الدراسات الشرق أوسطيَّة وفي جمعية الأدب المقارن في نيويورك .

ألقى العديد من المحاضرات باللغتين العربية والإنكليزية في الجامعات الأميركية ، اضافة الى إحياءِ العديد من اللقاءات والأمسيات الشعرية . تُرْجِمَتْ له مجموعة شعرية كاملة وقصائد أخرى مختلفة نُشِرتْ في مجلاتٍ أميركية متخصصة بالأدبين العربي والعالمي .

هو الآن أستاذ الأدبِ المقارن في قسم اللغة الإنكليزية وآدابها في الجامعة اللبنانية .

من منشوراته :

١ ـ « جبران خليل جبران ووليم بلايك : في دراسة مقارنة » . (بالإنكليزية) .

٢ ـ « جبران خليل جبران والرومنسيَّة الغربية » . (بالإنكليزية) .

٣ ـ مجموعة قصائد مترجمة عن الأصل العربي . صَدرتْ في مجلة « نمرود » . (بالإنكليزية) .

٤ ـ مجموعة قصائد مترجمة عن الأصل العربي . صدرتْ في مجلة « ترجمات من الشعر العالمي المعاصر » . (جزءان) ـ (بالإنكليزية) .

٥ ـ « لو كنتِ لي » . كتاب شِعر (بالعربية) .

٦ ـ « قصائد بلا تاريخ » . كتاب شِعر (بالعربية) .

٧ ـ « جبران خليل جبران ووليم بلايك : شاعرا

الرؤيا » . (بالعربية) .

٨ ـ « تأثيرُ ت . س . اليوت على صلاح عبد الصبور » . (بالإنكليزية) .

٩ ـ « خمـريةُ ابـن الفـارض والإسـتشراق » . (بالإنكليزية) .

يصدرُ له قريباً :

١ ـ مجموعتان شعريتان . (بالعربية) تصدران مع الترجمة الإنكليزية الكاملة .

٢ ـ كتـابُ الموتِ (بالعـربية) . يصـدر مع ترجمتـه الإنكليزية .

٣ ـ أنشودةُ الحبِّ والحربِ (بالعـربية) يصـدر مع ترجمته الإنكليزية .

بقلم الدكتور
جورج زكي الحاج

لا أريدُها مقدمةً . . .

فالشِّعرُ لا يحتاجُ إلى مقدمات ، لأنَّ عنقودَهُ ـ متى نَضجَ وطابَ ـ يندهُ بِكَ : اقْطُفْني . . اقْطُفْني ، ولا بُدَّ لك مِنْ قطافه .

الشعرُ رئيسٌ كبيرٌ، بل هو كبيرُ الأرضِ ، لكنَّهُ لا يحتاج الى منْ يسيرُ أمامَهُ ، ولا إلى جنودٍ يحرسونَهُ ، ولا إلى أبواقٍ تُحَمِّد بإسْمِهِ .

الشِّعرُ فعلُ حضورٍ في النفس ، وانعكاسٌ للأشياءِ المرئيَّةِ ليجعلها صوراً لا مرئيةً . . . لكنَّها ساميةٌ . إذن هو فعلُ تحوُّلٍ وتحويلٍ ، لذلك كانت صعوبةُ المهمَّةِ ، لأنَّها عمليةُ خلْقٍ ، وعليه ، فالشاعرُ مُجْبَرٌ على النزولِ الى الجحيمِ ، جحيمِ التجرُبةِ الشِّعريَّةِ ، ولا يمكنُه غيرُ ذلك ، لأنَّ الشعرَ مُقْلِقٌ . . . يتحرَّشُ بهدوءِ الشاعرِ وبِراحتِهِ ، فأحياناً هو هادىءٌ كما النسيمُ فوقَ مرتفعٍ ، وأحياناً أخرى هو صاخبٌ كما الموجُ بين يَدَيِّ العاصفةِ .

* * *

وعندما كتبتُ دراستي(*) عن ديوانِ « الغربةُ ومواسمُ الظلامِ » ، للدكتور جورج نقولا الحاج ، كان صاحبُهُ لم يدفعْ بهِ بعدُ الى المطبعةِ ! وقد حَمَلَتْهُ صداقتُنا الحميمةُ ، وثقتُه بي إلى إطْلاعي على الديوانِ أثناءَ وضع لَمَساتِهِ الأخيرةِ عليهِ ، وهذا عملٌ يثيرُ بي الفخرَ والإعتزازَ ، على الرغم من إيماني بأنَّ ما قامَ به جورج نقولا الحاج هو من شِيَمِ الكرامِ في العطاءِ الأدبيِّ ومن سِماتِ النبلاءِ في الصدقِ الإبداعي .

لقد تكلَّمتُ في دراستي للديوانِ على ميزاتٍ ثلاثٍ كانت صارخةً فيهِ . . . . وانتهيتُ إلى نتيجةٍ مَفَادُها أنَّ النارَ ، عند الشاعرِ ، هي فعلُ تطهرٍ من أدرانِ الجسدِ والمادِّياتِ وعتبةٌ للتَّشَفُّفِ والسموِّ . . . كما أنَّ الظلامَ طريقٌ الى النورِ ، والغربةَ حضورٌ في المطلقِ .

أما الميزاتُ الثلاثُ فكانت على التوالي :

١ ـ الضوئيةُ بين النارِ والنورِ .

٢ ـ هَاجِسُ الصوتِ والأغنيةِ .

٣ ـ الأثران اللاهوتي والميثولوجي .

(*) الدراسة منشورة كاملة في كتابنا (نقدات على بيدر الكلمة) ، الصادر مؤخراً عن المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، ١٩٨٣ ، من ص١٢١ الى ص ١٤٦ .

وإذا أبْقَيْتُ ميزاتٍ أُخْرى لم أتعرضْ لها في الدراسةِ فلأسبابٍ عديدةٍ أهمُّها إبقاءُ شيءٍ لكلمتي هذه .

فالوطنيةُ صارخةٌ في شعرِ جورج نقولا الحاج ،

والوطنيةُ مادةٌ غَنِيَّةٌ للشِّعرِ لأنَّها بنتُ الإيمانِ ، والإيمانُ على راسِ الحقائقِ الإنسانيةِ ، ولا أغالي إذا قلتُ : إنَّه يكفي أنْ نؤمنَ كي نُبْدِعَ ، فكيفَ إذا كانَ الإيمانُ عميقاً كإيمان هذا الشاعِر ، والوطنُ المؤمنُ بهِ كلبنانَ ، عظيماً ، كبيراً حتى في مِحْنَتِهِ ؟ . . . . لا شَكَّ في أنَّ اللعبةَ تتغيرُ ، وبخاصةٍ إذا تدخَّل القدرُ الذي حَمَلَ الشاعرَ إلى بلادِ الإغترابِ ، حيثُ تظهرُ الأصالةُ نَقيَّةً في إطارِ محوريةِ البطولةِ في الإنسانِ ، . . . . ويتجلىَّ التذكُّرُ والذكرى وكأنهما حَمِيَّةُ الدَّفْقِ اللاواعي في الصدقِ الوطني ، والقرارُ والإرادةُ في البقاءِ ، لأنَّ الوطنيةَ هنا أصالةٌ في الذاتِ ، والذاتُ تراثٌ بماضيهِ وحاضرهِ ؛ (قصيدة خليل حاوي) .

ويطرحُ جورج نقولا الحاج محوريةَ البطولةِ في الإنسانِ ، والحنينَ المتأصِّلَ في جذورهِ تحدياً للمسافاتِ المكانيَّةِ والزمانيَّةِ ، وتحدياً للإغترابِ ومواسمِ الظلامِ (قصيدة خذني الى ديارنا) وقصيدة (كلكم حبّي) .

ويتجلّى موقفُ الأصالةِ هذه في ثَبَاتِ المسؤ وليَّةِ الـوطنيةِ أمامَ تيارات العاطفةِ التي يرفضُ الشاعـرُ ـ على الرغـم من تجلّيها جَيَّاشَةً في شعره ـ أَنْ ينقادَ لأهوائِها أو يخضـعَ أمـامَ انحرافاتِها .

لا أريدُ إطالةَ الكلامِ ، فكما قُلتُ سابقاً : إن الشعرَ لا يحتاجُ الى مقدماتٍ . . . يكفي أَنْ أُنْهي بأنَّ شعـرَ جورج نقولا الحاج سَفَرٌ في لهيبِ الكلمةِ حيناً وفي بُعْدِ الصورةِ حيناً آخـر . . . يترنَّـحُ كما النسيمُ النيْسَانِـيُّ ، في هبَّـاتٍ باردةٍ تجعلكَ تَقْشَعِرُّ ، وفي أخرى معتدلةٍ تجعلكَ ترتاحُ وتَضَعُكَ في الطُّمأنينةِ .

شِعـرُهُ من وَجَـعِ ذَاتِـهِ . . من أَلِمِهِ هو . . . إنَّـه الصدقُ . . صِدْقُ التجربـةِ والأصالـةِ الشعـريَّةِ ، في لُغَـةٍ بسيطةٍ تُغَلِّفُها العفْوِيَّةُ النبَّاضَةُ . . . .

أتُراني اسْتَرْسَلْتُ في الـكلامِ مجـدداً ! ؟ لا . . . فإلى الشعرِ ، إنه ينتظرْ . . . .

بيروت في ١٢ ـ ٦ ـ ١٩٨٣

طَلَعَتْ بيروت مِن جلْدي
وغاصَتْ
في عيوني تختبي
وانا خبَّأتها في صرّتي
عاشرتها
أخبرتها أني نبي .

إلى خليل حاوي

— ١ —

منّ أجلِ مَنْ أبحرتَ ؟

« . . . آه والحقد بقلبي مصهر
امتصُّ ، أجترّ سمومه
ويدي تمسك في خذلانها
خنجرَ الغدر ، وسمَّ الإنتحارْ ،
ردّ لي يا صبح وجهي المستعار
ردّ لي ، لا ، أي وجه
وجحيمي في دمي ، كيف الفرار . . . »

لَـمْ يَكنْ بدٌ من الإبحـارْ ، اللحظـة ملائمـة ، والتاريخ قابـع في زاوية الملجـأ يتلطّـى من القصفِ العنيف . أما بيروتُ ، بيروتُ التي أَحبَّهـا الشاعـرُ حتى الجنون ، فقد أعياها عبء الصـليب ، ما مِنْ أحد تجرّأ على رفع الثقل عن كتفيها المسلوختين علَّها تمسح وجههـا المبرقـع بالتـراب والعـرقِ والدم . جميعهم وقفَ مذهولاً يُكْبرُ تضحيتها ، ويمنّي نفسه بالخلاص .

لَم يَكنْ بدٌ من الإبحار. انه حزيران عاد. يوم واحدٌ فقط مرَّ على ذكرى الهزيمتين . وَهُم لا يزالونَ على حالِهم من التعنُّتِ الفارغ . أبداً لن يتَّعظـوا . فَسِيرتُهم قمَّةُ المأسـاة ، وتاريخُهـم ذروَةُ الفاجعـة . وانتَ ما بَرحتَ تغنّي لهم بحبٍ ورجاء :

« . . . أنتم أنتنَّ يا نسل إلـه
دمُه يَنبت نيسان التلالْ
انتم انتنَّ في عمري
مصابيح ، مروج ، وكفاهْ
وانا في حبّكم ، في حبّكن
ـ وفِدى الزنبق في تلك الجباه ـ
اتحدّى محنة الصلب
اعاني الموت في حبّ الحياهْ » .

يجلسُ في غرفته ينتظر . يطول الإنتظـار . يُمَنّـي نفسَه بالظفر ، يغنّي للجيل الجـديد . يُسمِّـر عينيه على عَتبة المستقبل . لا بدّ من أن يأتيَ البطل الإله . ييأس ، يصليّ ، عبثاً . وما جدوى الصـلاة ؟ إنـه « عصر الجليد »

« . . . غير أن الحب لم يُنْبتْ
من اللحم القديدْ
غير أجيال من الموتى الحزانى
تتمطّى في فم الموت البليد » .

يفجعه الواقعُ المرير . إنه يَصرخ في صحراء العبث . يصليّ ولا أحد يسمعه . جميعهم أشباح تتمطى من حوله وتهزأ بيقينه . غير أن إيمانه كان أقوى من الموت . لقد عاد تموز كما وَعده . لأجله فقط عاد . وكان الشاعرُ قد أرهَقه الإنتظار فراح يُصارع كابوس النوم في أروقة اليقظة . ونظر البعلُ ، فاذا بالشاعر يتلاشى فوق أشلاء القصيدة ، يحتضنُ همَّه ويموت . يحزن تموز . يصعقه المشهد المريع ، ويتيقن ان لا ضرورة لعودته بعد الآن . لأجل مَنْ يعود ؟ فشاعره وكاهنُ هيكله يحتضر . إنها زيارته الأخيرة . يَمُرُّ يمينه فوق جبين الشاعر ، يقبّله بكبرياء ويحتجب .

يَتململُ الشاعر ، يهُمْهم . لقد شعَر بحضـورٍ غريبٍ في بيتـه ، وفي عروقـه سرَتْ دمـاء جديدة وانْسابَ دفء خصيب . لقد تمّت المعجزة ، وحصلَ البَعْث . ينهض الشاعر ، ينفضُ جليدَ القبر المتراكم فوق صدره ، يهرَع الى شرفة بيته علّه يَلحظ البعل في قبَّة المسافة فيَستبقيه عنـده تلك العشيَّة . يخطـو الى « يقين الباب » ، ويتجمَّد الرعبُ في عروقه . السَيد مشـدود الى جذع نخلَـةٍ عربيَّة ، واذا بيدٍ موتـورة ترتفع من مستنقع « الرماد » ، « تمسك في خذلانهـا خنجر الغدر » وتُغمـدُه في قلـب الفـادي ، فيُسلـم الروح .

ينتفض الشاعر ، يتلَعثم ، تسْقط القصيدة من عينيه ، يشعرُ بدوار مؤلم ، يَسقط فَيلتقطُهُ تراب القبر الأبدي . هكذا يَغيبُ تموز عنا للمرة الأخيرة . يصْبح البعثُ استحالة .

يحزن الشاعر حتى الموت . لقد طُعِنَ الإلَه . كان من قبلُ يعود ، يفتدينا بدَمه . يفضُّ بكارة القبر بدلاً منا . كحبَّة الحنطةِ يَزرع نفسَه تحت التراب مختارا . اما اليوم فكل شيء تبدَّل . لم يَمتْ تموز ، لم ينتحر حتى . الواقع أنه قُتِلَ عَمداً وقُتِلتْ معه قدرته على الرجوع . لقد سقطتْ الأسطورة . ذبحَها الواقع المتحجِّر في كهف الشرق الحجري .

وهكذا ، لم يكُنْ بدّ من الإبحـار . من إبحـار الشاعر الملحمي . من الاحتراق مع العنقاء . عَلَّكَ يا خليل تُحيي البعـل الصريع وتُعيد للشرق كرامتـه الذبيحة .

- ٢ -

من أجل مَن أبحرتَ ؟

وحدك ابنُ الأصالة ، يا عنيداً كصخور لبنان . عنفوانك حطَّم تسَيُّسهم ، وتواضعك أخجل كبرياءهم . يا ابنَ الجبل ، صَعبة عشرتكَ لأنك أنوف ، وصَلْب التزامك لأنك ترفض التكيّف . لم تنتسب الا للحق . صَمَتَّ حين ظلوا يَلهجون بالباطل ، وكان صَمتك يدوّي في سماء الشرق ، ينذر ويُرعب . أحببتهم جميعهم . غنَّيت لأطفالهم وشبابهم ، وعلى أهدابك وأضلعك تركتهم يَعبرون الى شرقٍ بنيته لهم بعرقٍ ودَم . رَصفته بالشعر وسيّجته بالقصائد والمواويل . هم باعوك بقبلَة غاشّة ، وهدموا حلمَكَ بأحذيتهم .

لم يتأنسَنوا بعد، ولم يتحضَّروا. رؤ ياهم رَمـلٌ وعيونهم رمل وفي أفواههم رمل ولا يحلمون. وحين سقطَ الشعرُ ، واستحالت الكلمات رمـاداً وترابـاً ، وحين تحققت من الخسارة فلا انْبعـاث ولا قيامـة ، وحين أيقنتَ أنَّ « همّ العبور » أصعبُ من « خطوة أو خطوتـان » الى طريق « الجسر » أزمعـتَ على الإبحار . جميعُهـم شريكٌ في المؤ امـرة عليك . من الخليج الى المحيط وقفـوا واحـداً واحـداً ينشـدونَ (سورة يوسف) وكلّ يَمضغ خصيتيه ويتقيَّأُ .

الطريق مسدود أمامك . لم يتركوا لك حتى حق الاختيار . وأي اختيار ! بلى ، بل اختيارات : المنفى ، التكيّف ، الواقع .

وأي منفى يريدون :

« وجحيمي في دمي ، كيف الفرار » .

لم يقرأوا شعركَ ولم يفهموك . التكيّف ؟ وأنتَ ابنُ الصلابة ، في مناخ الصَخر نَبَتَّ ، وما شققتَ طريقك الا وسط الصخور . الواقع ؟ وأنت ابن الرؤيا ، ربيبُ الشعر والمعاناة . لم يتركوا لكَ حتى حق الاختيار . فرضوا عليك خسارتهم . توَّجوكَ بالهزيمة وصرخوا في وجهكَ : « كذبٌ ما رَويته عنّا . نحن جيلُ الهزيمة . نحن أهل الأرض الخراب . صدورنا جوفاء ، وعقولنا جوفاء ولا احلام عندنا . أزعَجْتَنا بأحلامك ، وشمسُ اصالتك أدْمَتْ عيوننا .

نحن أهل الكهف لا نُعاينُ إلا الأشباح . نحن جِيفٌ محنَّطة . نحن أبناء « لَعَازر » عَبَثٌ بعثُنا من « حفرة بلا قاع » . نحن أبناء الجيل الجديد على صورة « أبواتنا » ولدنا . مُتْ ، مت لأجلنا مرة أخرى ، مُتْ لأجلنا ، نحن أعجز منْ أن نموت . نحن أبناء اليأسِ والهزيمة ، فمن أين لنا الشجاعة كي نموت » .

وَحدك يا خليل عرفتَ الحبَّ في صَفائه ونقاوته . أحببتهم وآمنتَ بغدهم . أنت ابنُ الجبل الأشم ، جبل ما أطلعَ غير العنفوان والشَّمم . وحدك واجهتَ الموتَ بصلابة ، باقتناعٍ وشجاعة .

إبحارك ليس هروباً ولا ضعفاً . منتهَى الإيمان والبطولة هو . وأنت ابنُ لبنان ، كلاكما ضحيَّة العروبة .

لم يكنْ بدّ من الإبحار نحو الحياة . وحدكَ حملُ الخلاص . من أجلهم ، من أجلهنَّ تحدَّيتَ « محنة الصلب » ، عانيتَ « الموت في حبِّ الحياة »

— ٣ —

مِنْ أجلِ مَنْ أبحرتَ
يا بحّارْ
مِنْ أجل مَنْ ؟
خبّأتَ في عينيك
إبتسامةَ النهارْ
ولوَّحتْ شمس على
جبينِكَ الأشمّ
وفي يديك يا مروِّضَ الحروفْ
حملت بيدراً من الظلال
والصورْ
وفي مَدى عينيك يا مُعلِّمي
ارتمى قَدَرْ . . .

مِنْ اجلِ مَنْ أبحرتَ
يا بحّارْ
مِنْ اجلهم
حثالة العَدمْ ؟
مِنْ أجل مَنْ ؟
هُمْ الذين أنكروا قيامتكْ
وانّ شعركَ الرؤ ى . . .

مِنْ اجلِ مَنْ أبحرتَ
يا بحّارْ
يا شاعر الشرقِ الحزِينْ
يا شاعر القلب الحزينْ

يوم افتديْتَ الشعرَ
كان شعرُك الخلاصْ
وكنتَ في سمائنا
شمساً بلا غروبْ
لكنهم لم يَسمعوكْ
لكنهم لم يفهموكْ
لم يؤ منوا بشعركَ الجديدْ
لم يؤ منوا بفصحكَ المجيدْ
وأن شعرَك الخلاصْ . . .

منْ اجلِ مَنْ أبحرتَ
يا بحّارْ
منْ اجل مَنْ ؟
يا نجمةً أبقى من الزَّمانْ
فنحنُ في غيابِكَ الطويلْ
إخوانكَ الصِّغارْ
سيهطل الظلامُ في سمائنا
ويعطشُ القمرْ
وسوف يا مُعلِّمي
نبني من « الرَّمادْ »

عمارةً للشعر والنخيلْ
عمارةً للإبلِ والصحراءْ
وسوف يا معلمي
عند المساءْ
نُضَوِّئُ المصباحَ من جديدْ
وكلّ عامْ
سَتَمتلي حقولُنا
« خمراً وزادْ »
وكلّ عيدْ
يزورنا تموز في
شهر الحصادْ . . .

منْ أجلِ مَن أبحرتَ
يا بحّارْ؟
يا صانعَ المطرْ
يا عاشقَ الرياحِ . . . والأمطارْ
رحلاتكَ السبعُ التي لم تروِها
«بصَّارةُ الحيّ»، ولا «عرّافةٌ»
ال الصاعقه
رحلاتكَ البكرُ الرؤى
وحدي عرفتُ حدودَها
وعرفتُ كيف يُشرِّشُ
العشبُ المقدسُ
كيف ينبتُ في عيونِ
الأنبياءْ . . .

وحدي حلمتُ بعودة البعل
المبارك
آتياً بالبرق . . . بالطوفان
بالنَّار ، التي مِن أجلها
رَفضَ السماءْ . . .
رحلاتُكَ السَّبع التي أخبرتَ
عن تاريخها
ياصاحبَ « النشيدْ »
لم تنفعِ الجيلَ الجديدْ
جيلٌ من الأقزام
يُرهقه الحديدْ
يَحبو الى كهفٍ . . . إلى مستنقعٍ
ويُعاشرُ الأمواتَ
يحفلُ بالعبيدْ . . .

لو زارنا تموزْ
لو زارنا تموزُ مرتين
كلَّ عامْ
واخضوضرَتْ كُرومنا
واثمر العقمْ
في شرقِنا
وعندنا تفتَّحَ الظلام
انجماً ، وحنطةً وطيبْ
واشرق « الهلال » فوق
سهله « الخصيب »
لن نتَّحدْ
لن نعبرَ « الجسر الوطيد »

لأننا

يا صاحبَ الهمِّ الكبيرْ

لأننا

يا صاحبَ القلبِ الكبيرْ

لا ننتمي للإبلِ والخيمياتْ

لأننا

لا ننتمي إلا إلى

لبنانْ . . .

مِنْ أجلِ مَن أبحرتَ

يا بحّارْ

مِنْ أجلِ مَن ؟

يا صاحب الصَّوت
الأصيلْ
غادرتنا
« والريحُ » تعصفُ بالوطنْ
وحقولُنا عطشى
و« بيدرُنا يَجوعْ »
« والنهرُ » عندنا عاقرٌ
يا سيدي
و« لعازر » المسكينُ
ينتظرُ الرجوعْ
أوّاه لو تَدري
واسْقمه الكَفنْ

وَتآكلته الدودُ
في قبرِ المطارْ :
« عمِّق الحفرة يا حفَّارْ . . . »
« نحـن (أهـل الشرق) مأساةً ، وُلدنا
بوجوه وعقول مستعاره . . . »
أوَّاه لو تدري
وهاتك أخته
لا فرقَ تحيا
أو تموتُ على انتظارْ :
« . . . وقاه الله . . . جسرُ البيتِ ،
يحملُ همَّنا هماً ثقيلْ .
. . . العام خلفَ الباب يا (أختي) ، يعودُ
غداً يعود (الينا) . . .
والله الكفيلْ . . . » . . .

منْ اجل مَنْ
يا صاحبَ الصوتِ
الاصيلْ
من اجل من أبحرتَ
خذْ إن تستطعْ
من عندنا أبحرتَ
من هذا الجبلْ
الارزُ يدمعُ
لا الرمالُ . . . ولا النخيلْ
من عندنا
اخصبتَ شعركَ بالوحي
بالرّمز . . . بالرؤ يا
و بالنغم الجميلْ

وشبابُنا يروِيكَ
شِعراً خالصاً
« للصبح » . . . « للعصفور »
للمرجِ الظليلْ
أواه لو تدري
وكليّ لهفةً
ويشدّني شوقٌ
« حنين موجع »
للنبع في « صنين »
نبعكَ يا خليلْ .

١٥ / اب / ١٩٨٢
كورتلاند . نيويورك

إمرأة شارع الحمراء

وكانّ في عَينيكِ
احلام الزَّمانِ البكر
تغفو تحتَ
اثقال الركامْ
وكانَ وجهكِ
نجمةٌ صَيفيَّة
تطفو وتغرقُ
في خضمٍ من غمامْ
يكْفي غروركِ أنني
عند الضّحى . . . أحبو
إلى قدميكِ . . . أقرأ
عند سرّتك السَّلامْ .

٢٩ / آب / ١٩٨٢
إثكا ـ نيويورك . جامعة كورنلّ .

كهفُ المرارة

أخبرتُ مرآتي
أخبرتُها عَن وهمكِ الآتي
عن عقمِ أيامي. . . وقصَّتنا
أخبرتُها . . . عن عمقِ مأساتي . . .
فتناثرَ البلَّورُ شلَّالاً
أسَفاً على عمري . . . وآهاتي
وبكَتْ خيوطُ الضوءِ . . . وانسابتْ

لحناً حزيناً في
حكاياتي
وحدائقُ النِّسْرينِ . . . والزَّنبقْ
اشواكها
ملأتْ مسَافاتي
والشِّعرُ . . . أغنيةٌ بلا رَونَقْ
وحناجرُ ثكلىَ
رواياتي . . .
اخبرتُ مرآتي ؟
انا لا أذكرُ
فلربما حَلمتْ بمأساتي

أو ربَّما نظرتْ إلى وَجهي
وَرأتْ سَوادَ اليأسِ
في ذاتي . . .
يا ليتني أغرقتُ صمتيَ في
كهفِ المرارة . . .
في كتاباتي .

٢٢ / آذار / ١٩٨٠
إثكا ـ نيويورك .
جامعة كورنلّ .

مَلِكُ العَجَبِ

سافرتُ اليكِ بلا سَبَبِ
وبلا أشرعةٍ وحقائبْ

أنتِ المسْجونةُ في كُتُبي
أحواضَ زهورٍ . . . ومَساكبْ

وأنا سجَّانُكِ . . . في أدبي
أبني للدانا . . . وكواكبْ

أعطيكِ غلالاً من ذهبي
قصراً مسحوراً . . . ومَراكبْ

أنسيْتِ ؟ أنـــا ، مَلِكُ العَجـــبِ ،
بطـــلُ الأسطورَة . . . والكاتِبْ .

٣ / نيسان / ١٩٨٠
إثكا ـ نيويورك . جامعة كورنلّ .

دفترُ الغرْبَةِ

يومَ ارتحَلْتَ وراء بَحرٍ من رَمـادْ
وَوعَدتَ أنْ : « سأعودُ . أنتمْ مُهجتي » .
لا أنتَ عدْتَ . . . ولا شراع البحر عادْ
طالَ انتظارُ أبيكَ . . . عُدْ يا « رجْوتي » . . .

وأنا الحزينةُ ، لمْ أذقْ طعمَ الرّقادْ
منذ ارتحلتَ . . . ولم أفارقْ غرفتي
أشْياؤكَ الكَائنتْ ملاذاً . . . واعْتدادْ
بَقيتْ عزائي يا بُنيَّ . . . وسَلْوتي . . .

لهذا يا رجائي ... أنتَ كنزي والفؤادْ
فأبوك شاخ ... وفارقتني هِمَّتي
ألبستنا يا « فرحتي » ثوبَ السَّوادْ
أين العريسُ ... لمن أغنّي غنوتي ؟ ...

سأعودُ يا أمّي وإنْ بَعُدَ البعادْ
وطني ابي ... وضياءُ وجهك نجمتي
أعطيتُ كلَّ مراكبي للسندبادْ
والبحر ... والفرسَ السريعَ الخطوة
سأدونُ عندكِ قبلَ أيامِ الحصادْ
ومعي شهاداتي ... ودفترُ غربتي .

١٣ / شباط / ١٩٨٠
إثكا . نيويورك . جامعة كورنلّ .

خُذْني إلى دِيارِنا

اليكَ يا أبي
يا وَاهبَ الحياة للحجَرْ
يا زهرةَ الجبالِ .. والسُّهولْ
يا غنوةً
ببالِ مقلَعٍ تجولْ
كتبتُ في عَينيَّ أنْ يعودَ
من غيابه السَّفرْ ..

لا ! ما نَسَيْتْ
لما حكتْ عيناكَ لي
حكايةَ القمرْ . . .
وديف في مواسمِ الحنانْ
بنّيت بَيْتْ
واصطدتَ لي واخوتي
جوانح الفرحْ
دسوّتنا . . . وفاضت الدنانْ
من عطفكَ السَّخي ،
والقدرْ
ما همّ . . . والزمانْ
من زندكَ الفتيّ
تصنعُ القدرْ . . .

عيناكَ يا أبي
صقرانِ من جبالنا
وغابتا صنوبرٍ . . . وغارْ
حكايتا رُجولَةٍ . . . وعنفوانْ
نَهرانِ من ضوءٍ . . . ونارْ
ظِلاّنِ من ظِلالنا
وواحتا صُوَرْ . . .

من غربتي
حيثُ الزمانُ حرقة انتظارْ
حيث العقَمْ
والليلُ لا يضيئه النَّهارْ
كتبتُ لكْ

من حيث لا رفاقْ
ولا أبٌ . . . وأمْ
أشتاقُ يا أبي
الله كمْ أشتاقْ
لأخوتي . . . لِنَشوة العناقْ
خُذْني اليكْ
خُذْني الى ديارنا
أشتاقُ للديارْ .

٢٥ / شباط / ١٩٨٠
بينغهامتن - نيويورك .
جامعة هاربر .

صَوتُ الشاعر

أرويكِ من ظمئي . . . وضوءِ محابري
وأضيءُ وجهكِ من لهاثِ مجامري

وأبدِّدُ الأشواقَ في عينيك كي
تتراقصَ الأيامُ فوق منابري

أنتِ الغريقةُ في مسافاتِ النَّدى
وأنا شعاعُ الصبحِ . . . لا تتكابري

سافرتُ في عينيكِ حلْماً رائعاً
هَذي يدي . . . إن تؤ مني بي سافري

وتلوَّني بالموتِ والألم الغني
وتساقطي شِعراً يُنيرُ دفاتري

لا تبخلي . . . فالحقلُ يُثْقله الجنَى
وأنا أغاني بيدرٍ متوافرِ

وأنـا جداولُ حلمها أنْ ترتوي
وأنا مجالاتُ الجمالِ السَّاحر

لا تسألي . . . فالله بي مُتجسِّدٌ
وأنا نَبيّكِ . . . أنتِ بعضُ مشاعري

صوتي وأصواتُ المآذنِ . . . والربى
شَدْوُ الكنائسِ . . هي صوتُ الشاعرِ .

٧ / أيلول / ١٩٨٠
إثكا ـ نيويورك . جامعة كورنلّ .

صَائدُ الأحلام

يا مَنْ حَبكْتَ الرِّيح أشرعةً
وصغتَ الغيمَ إكليلاً . . . وأخصبت
البيادرَ . . . والتلالْ
يا صائدَ المرجان . . . والأحلامِ
في غابات عينيَّ . . . تعالْ
أدعوكَ باسمِ الرِّيحِ . . . والأمطار
عُدْ . . . لو مرَّة عدْ
يا حبيبي
لم يعدْ عندي احتمالْ . . .

يا مَنْ نزلتَ عليَّ ضيفاً
في ليالي العيدِ . . . والفرحِ المنوّرِ
في عيونِ الأمهاتْ
وسَكَنتَ رحب دفاتري
أعطيتني سلطانَ مملكتي
وأسرارَ النّبوة . . . والصلاةْ . . .
أدعوكَ باسم النّيلِ
والأردنّ . . . والعاصي
تعالْ
يا واهب الأحلام
عُدْ . . . لو مرَّةً عدْ
لم يَعدْ عندي احتمالْ . . .

يا مَن أتيتَ اليَّ مِنْ
جزرِ الغرابةِ
لابساً ضوءَ النُّجومِ
مُدَجَّجاً بالزوبَعهْ
وأضأتَ ليلَ عواطفي
حوَّلتَ قحطي بَيدراً
والشَّوك تحت أظافري
حَبلَ
اسْتحالَ الى مروجٍ يانعَهْ
وزرعتَ في كفيًّ أنهاراً
منَ الخيرِ الحلالْ

أنْبتَّ بين أصابعي
شجراً . . . وبخوراً
وروَّضت المحالْ
أعطيت للأقــلام أجنحةً
وفكراً
بعدُ لمْ يخطرْ ببالْ
أدعوكَ باسمِ الشّعرِ
باسم الحب . . . عُدْ
لو مرَّة عُدْ . . . يا حبيبي
لم يَعُدْ عندي احتمالْ .

أعرفُ أنكَ ستعود ، أنتَ مسكون بحتميَّة العودة . وأعرف أن نشيدي لن يُبدِّلَ في التوقيت شيئاً . لكني محتاج أن أغنّي ، وأنتَ ستطربُ لسماع صوتي . مهما تمنَّعتَ ، ففي صدرك رغبة لا يحققها الا رجوعكَ الى بيادري « حبَّة حنطة » ، وفيض بركة . في عينيكَ كلام كلما قرأتُه تفيضُ ينابيعُ حقولي ، وتتسمَّر أعصابي على عتبات الحروف .

ستعودُ . لأن في عودتك خلاصي ، وستلوّن بياضَ صفحاتي بسيلِ دمك . لكني سأعجزُ عن افتدائكَ بدمي . ستصلبُ ، وسوف يرمونكَ في شارع الذّباب جثةً من قصدير . وأنا ، سأعيش لحظة موتك مرارةً أبدية تسلخ جلدي بسَوطِ الندامة الى ما شاءتْ حكمتك يا معلمي .

١٧ / تشرين الأول / ١٩٨٠
نيو هيفن ـ كنتكت .
جامعة ييل .

نَبيٌّ بيروت

بكيتُ من جديد . وكلّ دمعـــةٍ كوكب من نار ، طوفان من دم ، وانشودة رثاء جديدة . أنـا الحبيبْ المنفيُّ ، وطريقُ خلاصي لا يَمرّ في بيروت .

فِي عيوني تَسْتفيقُ
امرأةٌ
تتعرَّى فوقَ أهدابيْ
وتسهرْ . . .
وأنا
طفلٌ بعمرِ الفجْر
أصحو . . . وأصلِّي
علَّني يا حبُّ
أكبرْ . . .

نادراً أنْ لا يجُيب الحبُّ
لكنْ
أن يموتَ الله في بيروت
أنْدَرْ
ما قتلناهُ بأيدينا
ولكنْ
حقدنا أهداهُ
دون الوردِ
خنجرْ . . .

ربّما كنّا صِغاراً آنذاكْ
مِن كلامِ الشعرِ . . . أصغرْ
من سما بيروت . . . أصغرْ
وحلمنا بالخليجْ
وبصحراءِ حلمنا
لم نكُنْ ندري بأنّ الله
في بيروت مرسوم بسكَرْ
أنه ربَ جميل
يشتَهي . . . يلهو . . . ويسكَرْ
أنه رب قريبٌ
كان يهوانا . . . وأكثرْ . . .

طَلَعتْ بيروتُ مِنْ جلدي
وغاصَتْ
في عيوني تختبيْ
وأنا خبَّأتُها في صرّتي
عانقتها
أخبرتها أني نبيّ .

١٩ / شباط / ١٩٨١
نيو هيفن ـ كنتكت .
جامعة ييل .

مُلْكٌ وَدارٌ

بين أنينِ « الناي » وعويلِ « الريح ».بين « صومعة كيمبردج » وصومعة ييلْ. بين انكبابِ « الناسك » وساحات طروادة. بين مواسم الجفافِ ووعدِ « البشارة » و« بومة التاريخ » ينتظرها قوسٌ معلّقٌ على « صدر الجدار » .

وَهناكَ خلفَ الموجِ تومىءُ
لي عيونْ
تشتاقني . . . تحبو الى ظلّي
تُعانقُ طيفيَ المحموم
تبكي . . . وتصلّي
علّني . . . علَّ الزمانَ يعودُ بي
للأمسِ . . . للأصحابِ
للزمنِ الحنونْ . . .

وأنا ابنُ أحلامي . . . ودنيايا
البخيلةِ

تسْتميتُ الذاتُ فيّ
كي تكونْ
وهنا لجمتُ مكارهي
ولبستُ حزني
واسْتحلتُ الى بَغيّ . . . تشتهي
ذلَّ الدَّعارة . . . تُمْتَطى
تُشْرَى . . . وَتَزني
في شراييني نما
نَذلٌ يعيشُ على الرَّذيلةِ
يَسْتقي دمّي . . . يُعاشرني
وَيَبني
من فتات كرامتي
نُصُباً ذليله . . .

رَبِّي متى أصْحو
وأنفضُ عن جَبيني
لعنةَ الأيامِ . . . والعفنَ
المكوَّمَ في زوايا المكْتبهْ ؟
ومتى تعودُ ليَ الرّؤ ى
ويعودُ لي طربي . . . وإنشادي
وزَهوي . . . يانعاً كالحبِّ
سَهْلاً . . . طَيِّبا ؟
سأموتُ من قَهري . . . ومنْ
سجني . . . وأقلامي التي
حطَّمتُها وَأبَتْ
تَطيعَ وتكتبا

ربّي متى أصحو
وتعبُرني رؤ ىً
ويعودُ لي صوتي
وما أرويهِ
شِعراً . . . أدَبا ؟ . . .

وَدخلتُ في طقسِ الكآبةِ
واعترتني
خيبةُ المستقبلِ :
ـ ماذا هناكَ ؟ ـ
ـ وَلِمْ تظنّ لكَ الرداء المخملي ؟ ـ

« عبثاً رجوعُ السّندباد » .
« وخيبةً يا امرأة ما تغزلينْ » .
« فحبيبكِ البطلُ انتهى » .
« ماذا يفيدُ الإنتظارْ ؟ »
« لن يرجع الملكُ المسافر . . . للديارْ »
« فأنا شَهدْتُ سُقوطه »
« ورَجعتُ من طروادةٍ . . . وحدي »
« كفى . . . لا تسألي »
« فالبحرُ بينكما . . . وحوتُ البحر »
« لا تَسْتَهوني عَبثَ البحارْ » .

وتظلُّ خلفَ الموجِ تومىء
لي عيونْ
ويلوحُ لي ملْكٌ
ومكتبة . . . وَدارْ

وَيَدٌ . . . تحوكُ الصَّبرَ شالاً
وأرى
قوسي معلَّقةً على
صَدْرِ الجدارْ .

٢٣ / شباط / ١٩٨١
نيو هيفن ـ كنتكت .
جامعة ييل .

جُلْجلَه

أبكيكِ يا بلاديَ الحزينهْ
أبكيك يا يتيمةً بلا حنانْ
لا جارَ . . . لا أصحابَ . . . والزمانْ
يا حلوتي . . . لو يَعدلُ الزمانْ . . .

أبكيكِ يا بيروت يا حَبيبةَ الإلهِ
يا حبيبتي . . . في موسمِ العذابْ
رُجمتما معاً بلا خطيئةٍ
لكي يُتمَّمَ الكتابْ . . .
صُلبتما . . . دفنتما معـاً . . .

وعادَ ظافراً الى علاهْ
وعاد سَيداً الى سماه
وأنتِ يا حبيبتي
بَقيتِ تحت الرَّدمِ والوحولْ . . .
تباركَ الإله !
يا حبيبتي . . . يا مؤ منه
إيمانكِ العميق لم ينقذكِ
حين أنقذَ اللصوصْ
فالعصرُ . . . عصرُ كُفْرْ . . .

تباركَ الإلهُ !
يا حبيبتي يا مؤ منه
وبوركَتْ سَماه . . .
وبورك الذينَ يَسقطونَ . . .
في رضاه
فالعصر . . . عصر كفرْ
وأنت يا حبيبتي
لم تُصْلَبي لولاه .

١٨ / نيسان / ١٩٨١
مساء الجمعة العظيمة .
نيو هيفن . كنتكت .
جامعة ييل .

مئْذنَةُ الشرق

أَتدفَّأ
أحرقُ أحشائي
أشعلُ أيامي . . . أطمرها
تحت الأنقاضْ
والليلُ يدور . . . يُراوغني
يحكي لي عن خِيَم الغجَرِ
عن حلمٍ ليس له آخِرْ
فأُجَنُّ . . . وأعرى . . . وأسافرْ
أجنحتي تبغ غلاييني . . .

أتحوَّلُ . . . أصبحُ مئذنةً
أروي للشرقِ دواويني
أكتبُ بيروتَ . . . أنقحُها
فتصير امرأةً . . . ومدينة
وأنادي يا شرقُ اسْمعني
إسمعْ يا شرقْ . . .
وتردد أصواتُ الموتى
إسمع يا شر . . .
ويُردد طفلٌ جَبليٌّ
إسمعْ يا شر . . .
ألأرزُ لنا
والبحرُ لنا
إفهمْ يا شرقْ . . .

احتَضنُ الموجَ الهادرَ في
عينيكِ السوداوينْ
أبتلعُ البحرْ
أحصُدُ أحزاناً . . . ولآلِيْ
أزرعُ تفَّاحاً . . . وحراباً
وربيعاً . . . في الربعِ الخاليْ
أمتشقُ الفجرْ . . .

أشرقُ فوق الحقدِ الأسودْ
أذبحُ قلبي
أمزجُ بالطيبِ وبالحبِ
قطرات دمي
أعْجنها
بالضوءِ الطالعِ من عينيّ

أحملُها
خبزاً فوق يديّ
وأزورُ بيوتَ الفقراءِ . . .

وطني
يا سَيفاً يذبحني
هذي عنُقي
مزِّقْ أفراحي . . . وشبابي
لَوِّنْ عينيك بأحلامي
بيقيني
واشرقْ في أفقي
وابْنِ أمجادكَ
يا وطني
فوق ترابي .

٢٤ / نيسان / ١٩٨١
نيو هيفن ـ كنتكت .
جامعة ييلْ .

صَديقُ الحزن

عيناك حنجرتانِ من نَغمٍ ولونْ
وفراشتان . . . وزهرتا فلٍّ
وانا صديقُ الحزن . . . أمسحُ وجهه
بالضوءِ . . . بالنغمات . . . بالطَلِّ . .
فيذوبُ أفكاراً
على ورقي
يروي بساتيني . . .
ويغورُ في صدري
يعمّقُ جرحَه
ينسابُ لحناً
في دواويني . . .

وأصيرُ أغنيةً . . . يُرددني
للناسِ
للغابات يرويني . . .
إني صديقُ الحزنِ
يا امرأة
الحزنُ جوهرة . . . وتكفيني . . .
لا حزنَ في عينيكِ
يجذبني . . .
زهو الفراشةِ
لن يغذِّيني . . .

فأنا أعاني
كلَّ أحزانِ الدنى
وأحبُّ أحزاني
أحبِّيني . . .

جرحٌ أنا
هَمُّ الأحبَّةِ غنوتي
لاحبّ غير الحزنِ
يَشفيني . . .

لا زهرَ أبغي
لا فراشاً هائماً
فقري غِنىً
والحزنُ يغنيني . . .
عيناكِ حنجرتي
وجرحا غرْبتي
حَيَّيتُ باسمِ الحزنِ
حيِّيني .

١١ / أيار / ١٩٨١
نيو هيفن ـ كنتكت .
جامعة ييل .

حَناجرُ الليل

أالليلُ يا صديقتي
حناجرُ تُضيء
في الظلامْ
فتبرقُ الأفكارْ
وتولدُ الحروف في
حدائقِ الكلامْ . . .
ونحن بلبلانِ من
صداحنا
نموسقُ النجومْ
نرشُّها بالضوءِ
والعبيرْ

ونعشقُ الفضا
نُسَفِّرُ الجناحَ في
مواطن الخيالْ
نعانق الأثيرَ
والظلالْ
نعانق الجمالْ
فيولد القمرْ . . .

أريدُ أن أكتبَ
بالدماءْ
أريد يا سَمراءْ
فالشِعرُ في بيروت
لا يُقرا . . . بلا سَيفٍ
وبندقيَّة . . .

لا . . . لستُ بلبلاً
ولا
أهتمُّ للقمرْ
جرح أنا
وموطني سَيف
وأحرفي حجرْ .

٩ / تموز / ١٩٨١
براتلبورو - فرمنت .

حَسْناءُ صُور

اللهِ ! هذا وجهُها الأسْمَرْ
عادَتْ . . . فطفلُ الحبِّ لا يَكْبَرْ

عادتْ تَضمُّ الطفلَ في لَهَفٍ
فالحبُّ من أقدارنا أقهَرْ

عادتْ وكنتُ عَرفتُ عودَتها
لما رأيتُ الرَّوضَ قد أزهَرْ

والشمسُ مذْ صارتْ تغامزني
وَيدقُّ بابي طائرٌ أشقرْ

وجلَستُ أرقبها على كثَبٍ
ماذا تراهُ العمر قدْ غيَّرْ

شفتاها أفراحٌ وأغنية
مجروحةٌ أنشودةُ السُكَرْ . . .

يا صُورٌ . . . يا التاريخ يأخذني
يجتازُ بي ماضٍ . . . ولا أَشعرْ

هذي أليسارٌ تُسامرني
غيبي أَليسَا . . . معْكِ لنْ أسهر

في ناظريكِ العمرُ مرتحلٌ
عمري الكتابُ . . . الحرف . . . والأسْطرْ

مَن علَّمَ الأصدافَ أغنيةً
مَن علَّمَ الأمواجَ أن تُضْفَرْ

تلكَ التي في مجدِ قامَتها
مجدُ الرمالِ وزهوها يَحضر

يا بحرُ من عينيَّ عائدةٌ
أفراحُ صُورَ . . . ومجدُها الأكبر

يا بحرُ مَن منَّا بلجَّتهِ
دفقُ الحضارةِ كان قد أبحرْ

خُذْ ضوءَ عينيها معذِّبتي
خذ لونَها يا بحرُ . . . ثمَ اسْكَر

واطربْ على أمجاد طلَّتها
أنتَ الأقلُّ . . . وجاءكَ الأكثرْ .

١٢ / تموز / ١٩٧٥
المنصورية .

وَعْدُ النَّار

أداعبُ الشوقَ في صمتٍ أدغدِغه
أطوي المسافةَ بين الحرفِ والحرفِ

أجوِّفُ الآهَ بالأنَّاتِ أحفرها
نجماً وكهفاً . . . سلامٌ نجمةَ الكهفِ

أحوِّلُ الشكلَ أحلاماً أسامرُها
هذي حروفكِ . . . ماذَا بعدها تخفي ؟

صوفية الصوتِ لا تخفي عَليَّ هوىً
بوحي بوجدِكِ . . . إني مثلُها صوفي

تلك الزنابقُ . . . في أبعادكِ ارتسمتْ
فالخوفُ بَوْحٌ . . . واني مُظهرٌ خوفي . . .

أسْلَمتُ للغيبِ أقلامي وقصتنا
أشعلتُ بالزهر أوراقي . . . فلا تطفي

يكفيكِ بالنارِ من عينيّ حمرتُها
للنار وعدٌ . . . فلَيستْ حرقتي تنفي

داويتُ بالعطر جرحَ الكون من زَمنٍ
جَفَّ العبيرُ وجرحي بعدُ لمْ أشفِ

هاتي جناحكِ فوق الحقلِ يحملني
الله يكفي . . . و إن أحببتني يكفي

فالله حبّ . . . أحبِّيني فيعشقنا
نحنُ الطبيعة في إبداعها الصرفِ .

١٩ / شباط / ١٩٧٦
المنصورية .

مَواسمُ الظلام

إشتقتُ يا بيروت أن أمرَّ في
شوارعِ الرُّخامْ
إشتقت أن أنامَ فوق
صدركِ الجميلْ
فتورق الوجوهُ في مواسم الكلامْ
وتسجد الملوك عند طرفكِ
الكحيلْ . . .
الله يا بيروت كيف ضعْتِ
والغمامْ
أضاعَ وجهكِ النديّ
والنبيلْ

يا حلوتي
يا وردةَ السَّلامْ
لو متٍّ أنتِ
ليس من بديلْ . . .
كيف انتحرتِ في مواسم
الظلامْ
أَلَمْ يكنْ للصبر من
سَبيلْ ؟ . . .
أهواكِ يا بيروت يا حبيبةً
لا ترضى أن تنامْ
حتى يعود الشرقُ
لانتسابهِ الأصيلْ . . .

باللهِ يا بيروت إنْ
بَكيتُ لا أُلامْ
كيف انتحرتِ يوم
عيدكِ الجليلْ . . .

كيف اسْتحالَ وجهك
الجراحَ . . . والحسامْ
كيف غدوتما معاً
القاتلَ . . . القتيلْ ؟ . . .

١٥ / تشرين الأول / ١٩٧٨
جامعة بينغهامتن - نيويورك .

رسَالةٌ بلا حروف

لا تحزني ، حاولتُ ، إني لا أُلامْ
وَلذا كتمتكِ في فؤ ادي ما جرى
وبعثتُ أوراقاً اليكِ . . . بلا كلامْ
فالصمتُ أبلَغُ من دموعِ المحبره . .

الحبُ فيكِ ، وأنتِ للحبِّ نواةْ
والله في عينيك يَبني مَسكنا
صلِّي معي . . . فالحب تُنعشهُ الصَّلاة
وعساكِ يوماً نرتدي أنتِ الأنا . . .

هذا رَجائي . . . ربمَّا تمَّ الرجاءْ
يا وردتي . . . فنعيدُ أيامَ الصبَا
وأكون قد أحببتُ في غدكِ السَماءْ
وَعشقتِ في عينيَّ سرَّ الموهبهْ . . .

٢٥ / تشرين الأول / ١٩٧٨
جامعة بينغهامتن . نيويورك .

لو كنتِ لي

لو كنتِ لي
صَديقتي
لكانتِ الدنَى
حديقتي
وكانت المَنى
قصيدتي
لو كنتِ لي . . .

لو كنتِ لي
في هذه السَّنَهْ
صديقتي
لو كنت لي
أنا . . .
لا ! أنتِ لي .

أودُّ لو أصدِّقُ
عسَى الربيع يُشرقُ . . .
لماذا لم تكوني لي
في هذه السنه
ما دمتِ يا حبيبتي
هنا . . .

ما دمتِ يا حبيبتي
حبيبةَ السَّماءْ
وزهرةً
وجارةَ القمرْ
ما دمتِ لي
أميرةَ النساءْ

والخمر . . . والطيوب
والوترْ
وقسمةَ القضاء . . . والقدرْ . . .

لماذا لم تكوني لي
في هذه السنه
ما دمتِ يا حبيبتي
هنا ؟ .

٣١ / كانون الأول / ١٩٧٨
جامعة واترلو .
كندا .

مَملكةُ الأحزان

عيناكِ لي
والحزنُ مملكتي
واليأسُ في صوتي
وفي لُغتي
جسَدي رماد
ناره انطفأتْ
كانت عظامي
بعض محرقتي . . .
صوَّرتُ في عينيكِ
أغنيةً
صَمَتَتْ تُرى
أوتارُ أغنيتي ؟ . . .

ومشاتلُ القبلاتِ
ماذا بها . . .
ذبلَتْ
وَجَفَّ الحبُ
في شفتي ؟ . . .

نهداكِ مرجا لؤلؤٍ
وندىً
وأداة تعذيبي
ومقصَلَتي . . .
فاسْتوطنَ الجلادُ
في صدري
وتلوَّنتْ بالموت
أشرعتي . . .

وطُفئتْ في وجهي

وفي رئتي

وتكسّرتْ أقلامي

وحركتي . . .

يا نجمتي لم يبقَ لي

إلاّ

شعري . . . وأحلامي

ومكتبتي . . .

يا حلوتي لم يبقَ لي

إلا

إيمانٌ بعثكِ

في مخيّلتي .

١٢ / كانون الثاني / ١٩٧٩

جامعة بينغهامتن ـ نيويورك .

نافذةُ العَدمِ

وَجهي بلا رئةٍ . . . بلا أفقِ
وجهي انحدارُ العمقِ في الشَّفقِ

عينايَ نافذتانِ من عَدَمٍ
أبداً . . . وعمري مفرقُ الطرقِ

أنتِ السَّجينةُ في مدَى بصري
منكِ ارتعاشُ الضوءِ في الحدَقِ

أو أنتِ طيفٌ . . . برقُ خاطرةٍ
فوق اهتزازاتٍ على وَرقي

تَترصَّديْنَ نواظري شَغفاً
منها أنا قَلقٌ . . . على قَلقِ

وأموتُ فيكِ . . . فأنت بي وجعي
أو كاختلاجِ الروح في الرَّمَق

وأظلُّ ملهوفاً نضيعُ معاً
بين المغيبِ . . . وغصَّة الغسَقِ

وَيطوفُ نهرُ الموتِ . . . يجرفني
تيَّارُهُ المعجونُ بالعَرَق

لا لم تمرّي بعدُ . . . فاغتسلي
بالموتِ يا صوفيَّةُ ائْتلقي . . .

ومهاجرٌ . . . عَيناكِ مقبرتي
بين انعقادِ الحلْمِ . . . والأَرق

تتأبطينَ مفاصلي جِيَفاً
زُرعَتْ أظافرُها على عُنقي . . .

أنتِ الشِّفاهُ . . . وأنت حمرتها
بابُ الجحيمِ اليكِ . . . فانغلقي

فالجرحُ ليلٌ . . . والرؤ ى عَدمٌ
نحنُ الفراغ يَضجُّ بالعَبَقِ .

١٣ / نيسان / ١٩٧٦
المنصورية .

مَشروعُ قصيدةٍ

وَخلَقتُ من حبّي لها وطناً
كوناً منَ الأضواءِ والزهرِ

صَوَّرتُ بالأحلامِ عالَمها
بالرَّطبِ . . . بالظلِ الذي يغري

في شَعرها أرسلتُ أشرعةً
فجَّرتُ فيه غزارةَ البحر

ورسَمتُ فوق جبينها سهلاً
من رقَّةِ البلّور والعطر

وزرعتُ سنبلتين منْ لَونٍ :
وهجَ البريقِ ... ولغَّة السِّحر

وهناك نهرا لؤلوءٍ هما
رقصُ ارتِسام الشمس في نهرِ

قرصانِ مِن شهدِ الربيع هما
طِيبُ الربى ... وحلاوةُ الثغرِ .....

٢٢ / شباط / ١٩٧٩
جامعة بينغهامتن . نيويورك .

كُلُّكُمْ حبِّي

أقسَمتُ أنْ أشرقْ بعينِ الشمس
أن يَرتديني ضوؤ ها صبحا
أنْ أبتني قصراً بدار الأمسْ
وأصيرَ في أعيادكم فصحا . . .

أروي لكُم أسطورةً عنِّي
بالحبِّ أبني بَيتكم بيديْ
وأزوركم بالشعرِ . . . بالظنِ
من دفء أعينكمْ أضيء غَدي . . .

أبني لكمْ منْ نُسغِ أهدابي
أرجوحةً في فَيْءِ أرزَتنا
أمراسُها أملي . . . وأعصابي
وَيقينُ إيماني بيقظتنا . . .

لو تَسمعونَ صراخَ أبياتي
لَرجعتمُ أهلاً . . . وأحْبابا
أنتمْ ضميرُ الشِعرِ في ذاتي
والخمرُ في كاسي إذا طابا . . .

سَافرتُ عنكمْ كي أظلَّ لكمْ
لا فرقَ عندي . . . كُلّكمْ حبِّي
لولا اشْتكتْ ضعفاً محبَّتكم
هاكمْ دَمي . . . والنَّبض في قلبي .

١٥ / آذار / ١٩٧٩
كيمبردج ـ ماساتشوست
جامعة هارفرد .

في غرْبَتي

في غربتي
أقتاتُ أحزاني
وأحلَمُ في سكوتْ
وأشَيِّدُ الأَوهامَ
قصراً شامخاً
أبنيهِ فوق المقلَبِ
الثاني
وقصري
منْ نَسيجِ الحلْمِ
صغتهُ . . . منْ
لهاثِ العنكبوتْ . . .

وَحدي هنا
لا الحبُّ يَعرفني
ولا تشتاقني
هَذي السَّماءْ . . .
وهنا وجودٌ آخَر
لا الأرضُ أرضي
لا ولا ريحُ الشتاءْ . . .
والشَمسُ لا
لَيستْ كما عُوِّدْتُها
أختَ الصَفاءْ . . .

ألكلُّ مختلفٌ هنا
الوقتُ . . . والأَزهارُ
والأطيارُ شيء آخَر
شيءُ غريبٌ آخر
حتى النِّساءْ . . .
في غربتي
أَمشي . . . وأمشي
في فَراغْ
في خطوتي
تُطوَى جذوري

وهنا
لا الأرضُ تحبَلُ
لو أنا عانقتها
لا الحقل يولَدُ
لا ولا زهرٌ
يُصَاغْ . . .

بَيني وبين طفولتي
سَفرٌ . . . وموتْ
جيلٌ منَ النسيانِ
يَرقدُ
في سكوتْ . . .

الوقت يولد مَيِّتاً
أو تولدُ اللَحظاتُ
مَسْخاً
وَهنا
أمْشي بلا ظِلّ
وأشدو
لا يُرددني صدىً
وكأنَّ في صوتي
جَفافاً
شِبْهَ صَوتْ .

١٣ / تشرين الثاني / ١٩٧٦
جامعة بينغهامتن . نيويورك .

حوارٌ مع الريح

حزيران / ١٩٧٦
المنصورية . لبنان

ولادَة

وَحين تَعشقينني
أصيرُ كالنبات في الحقولْ
وتصبحُ الفصولُ لي عَبيدْ
وترتوي بحارْ
وَيلتقي بداخلي الليلُ . . .
والنهارْ
وتَستحيلُ كلُّ صفحةٍ سَماءْ
وأحرفي تشعُّ بالضياءْ
وأغدو يا حبيبتي كأنني
ولدتُ من جديدْ .

فداء

عيناكِ والأحزانُ في وطني
وطني جراحاتُ الزمَنْ
نفديهِ بالأكبادِ إنْ يكُنِ
ولَه الحياةُ بلا ثمنْ .

كيف لا !

الصوتُ صوتكِ . . . كيف لا !
والظلّ ظِلُّكِ . . . كيف لا !
ها قد مَشتْ نحوي بلادي
لن أتوهَ . . . وأسألا .

نشيد

ماجَتْ حقولكِ في يدي
فالعمرُ لحنٌ . . . والدنى
هيَّا تعالي . . . وانشدي
أرضي وما فيها . . . لنا .

أمنيه

نهداكِ عصفوران . . . حُبُّهما
حبّي . . . وأفراحي . . . وأغنيتي
واللونُ في عينيَّ . . . لونُهما
وصداهُما عمري . . . وأمنيتي .

شراع

سَافرتُ للأحزانِ أسكنُها
وَرسمتُ أسمكِ فوق أشرعتي
فَمشَتْ شواطِئُنا تلوِّنهُا
بالضوءِ أحزاني . . . وأمتعتي .

لا تسأل

أبحرتُ في عينيكَ . . . لا تَسألْ
عَنِّي . . . ولا تقرأ مكاتيبي
فالله من عينَيكَ لا يَرحلْ
يا شعلَةَ الإشراقِ . . . والطيبِ .

يا حلو

يا حُلْوُ حبُّكَ لو يُسافر بيْ
أَنْسَى حنيني . . . أنسى أحزاني
كنتُ اشتريتُ بلهفتي تعبي
وزرعتُ بالساحاتِ ألواني .

يا قاتلي

آتٍ إليكَ . . . فلا تعاتِبْني
يا قاتلي . . . بالشوقِ . . . بالنظرِ
أوكلْتُ للشطآن كي تَبْني
بيتاً لنا . . . في غابةِ السَفرِ .

شعاع

يومَ اغتسلتَ بواحةِ الزنبقْ
ولَبستَ ضوءَ الشمس . . . والغسقِ
طلبَتْ سهولُ اللونِ لو تغرقْ
في قلبها . . . يا شَهقَةَ الألَقِ .

لأجلكِ

لَوَّنْتُ البحرَ لها أزرقْ
وملأتُ جيوبي بالصدفِ
أغرقتُ الموجَ مع الزورق
وبَنيتُ القبّةَ من شغفي .

ضياع

منذ ارتحلْتَ وراء قريتنا
رَحلَتْ طيورُ الحبِّ . . . وانطفأ الربيعْ
أخشى غداً في عقمِ غربتنا
قلبي يَضيعُ . . . وقريتي . . . أيضاً تضيعْ .

قريتي

ها قد رَجعتُ إلى بلادي . . . لا تَسَلْ
وزرعتُ أشواقي صدىً . . . في غربتي
خبَّأتُ في عينيَّ أحلامَ البطلْ
يروي حكايات الهوى عن قريتي .

فهرست

الثمن : ١٤ ل . ل .
او ما يعادلها

المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع